﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد بيان خداع المنافقين وسوء باطنهم، أثبت أحقيّتهم بصفة الإفساد

لَمَّا كان حالُ المُنَافِقِينَ مَبْنِيًّا على الخِدَاعِ؛ بإِظْهَارِهِمْ خِلَافَ ما يُبْطِنُونَ، وكانُوا يَزْعُمُونَ أنَّ إفسادَهم إصلاحٌ، مُعَرِّضين بِذَلِكَ بالمُؤْمِنِينَ، ولَمَّا كان عِنْدَهُمْ مِنَ لَحْنِ القولِ الذي يُلَبِّسُون به على أهلِ الْإِيمَانِ؛ تولَّى اللهُ سُبْحَانَهُ كَشْفَ أَمْرِهِمْ فقال مُحذِّرًا مِنْهُمْ مُثْبِتًا لَهُمْ ما تَبرَّؤوا مِنْهُ مِنَ الفَسَادِ والْإِفْسَادِ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[1].

قال الإمام أبو السّعود العمّادي في بيان أنَّ هذه الآيةَ هي ردٌّ على المنافقين الذين يدّعون الإصلاح: "فإنّه رَدٌّ من جهته تعالى لدَعواهم المَحكيّة أبلغَ ردٍّ وأدلَّهُ على سَخَطٍ عظيمٍ حيثُ سُلِكَ فيه مسلَكَ الاستئناف المُؤذّي إلى زيادة تَمَكُّنِ الحُكْمِ في ذهن السّامع"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾: الْفَسَادُ: ضدُّ الصَّلَاح، وهو الْبُطْلَانُ والاضْمِحْلَال، ويَرِدُ بمعنى التَّغَيُّر[3].

والمعنى الجَامِعُ لَهُ أنَّهُ خُروجُ الشَّيء عَنِ الاعْتِدَال والاسْتِقَامة[4]، فيكون في الأرض بِتَهْيِيجِ الحُروب والفِتَنِ، وانتفاءِ الاعْتِدَال والاستقامَة عَنْ أحوَالِ النَّاس وزَرْعِهم وسائِرِ منَافِعِهم[5]، ومِنْهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: 205].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/110-111.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/44.
(3) الزَّبيدي، تاج العروس: (فسد).
(4) الرّاغب، المفردات: (فسد).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فسد).

2) ﴿يَشْعُرُونَ﴾: الشِّعْرُ والشُّعور: العِلْمُ الدَّقيق أو الفِطنةُ، ويُطْلَق الشُّعور على الإدرَاك بالحواسِّ الْخَمْسِ[1]، وعلى مَبَادئ الإدراكِ[2].

وأصلُ (شَعَرْتُ): أَصَبْتُ الشَّعْرَ، ثُمَّ استُعير لِلْعِلْمِ الدَّقِيق؛ لأنَّه في الدِّقَّة بمنزلَةِ إِصَابة الشَّعْرِ[3].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ما يَدْرُونَ ومَا يَعْلَمُون[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَلَا فَتَنَبَّهوا يا أهلَ الإيمانِ إِلَى أنَّ ما يَفْعَلُهُ المُنَافِقُونَ زَاعِمِينَ أنَّه إصلاحٌ: هو عَيْنُ الْإِفْسَادِ، ولَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بِفَسَاد ما هُم عَلَيْهِ؛ لِغَلَبَةِ جَهْلِهِمْ وشِدَّة عِنَادِهِم، ولا يَشْعُرُونَ بِمَا أعدَّه اللهُ سبحانَهُ لَهُمْ مِنَ العقُوبَةِ في الآخرةِ[5].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ تَأْكِيدِ الْجُمْلَةِ:

المُبَالَغَةُ في إبطالِ زَعْمِ المُنَافِقِينَ بما يُناسِبُ المقامَ

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ جملةٌ خبريَّةٌ مؤكَّدَةٌ بألوانٍ مِنَ المُؤكِّدَاتِ؛ وهي: (أَلَا) الاسْتِفْتَاحِيَّةُ التَّنْبِيهِيَّةُ، و(إِنَّ)، وضميرُ الفصلِ، واسميَّةُ الجملةِ، وذلك لِلْمُبَالَغَةِ في إبطالِ زَعْمِهِمْ؛ لِمَا في مقالتهم مِن دَعْوَى خلافِ الواقعِ مَعَ مُصَاحَبَتِهَا التَّلْبِيسَ.

وتَصْدِيرُ الجملةِ بِـ (أَلَا)؛ لِمَا فيهَا مِن الدّلالة على التَّنْبِيهِ، والتَّنبيهُ لا يُؤْتَى به إلَّا في أمرٍ غريبٍ، والغرابَةُ هَهُنَا: فُقْدَانُهُم الشعورَ[6].

وثَمَّ وجه آخَرُ؛ وهو أَنَّ أدَوَاتِ التَّنْبِيهِ تُشَارِكُ أسماءَ الإشارةِ في

(1) الرّاغب، المفردات: (شعر)، والخفاجيّ، عناية القاضي: 1/318.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/52.
(3) السَّمين، عمدة الحُفّاظ: (شعر).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 1/277.
(5) السّمين، الدُّر المصون: 1/140-141، وابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز: 1/123، والبغويّ، معالم التَّنزيل: 1/66.
(6) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/54.

تَنْبِيهِ المُخَاطَب؛ وذَلِكَ مُشعِرٌ بكمالِ ظهُورِ مَضْمُونِ الْجُملَةِ المصدَّرةِ بحَرْفِ التَّنْبِيهِ، كمَا أنَّها دالَّةٌ على الاهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ وإذاعَتِهِ[1].

بلاغةُ أُسلوبِ القصْرِ:

الـــرَّدُّ عَـــلَى الْمُـنَـافِـقِـينَ بِـأُسْـلُـوبٍ مِـنْ جِـنْسِ أُسْـلُـوبِ دَعْوَاهُمْ

في قولِه سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ قَصْرٌ مؤكَّدٌ؛ فالقصرُ في تعريف جُزْأَيِ الْجُمْلَةِ - اسْم إنَّ (هُمْ) وخبَرِها ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ -، وتوكيدُ القصرِ: في توسُّطِ ضميرِ الفصلِ بين الجُزْأَيْنِ[2].

وجاءتِ الجملةُ بأسلوبِ القصرِ؛ لِيَتَشَاكَلَ الرَّدُّ مع الدَّعْوَى؛ فإنَّهم ادَّعَوُا الإصلاحَ واختاروا طريق القَصْرِ - ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ -، وفي ذلك تعريضٌ بالمؤمنينَ وأنَّ وصفَ الإصلاحِ منفيٌّ عنهُمْ، فنَاسَبَ أن يُرَدَّ عَلَيْهِمْ مِن جنسِ أسلوبِهِمْ؛ لِيَتَحَقَّق بطلانُ دَعْوَاهُم، وتُنْفَى التُّهْمَةُ عَنِ المؤمنين[3]؛ إذِ القصرُ هُهُنَا قصرُ قَلْبٍ[4].

اللَّامُ فِي ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ لِلْكَمَالِ فِي الصِّفاتِ:

اللَّامُ في ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ لِلْكَمَال، أي: هُمُ الْكَامِلُو الإفسادِ البالغُونَ فيه الغايةَ، حتَّى إنَّ إفساد غَيْرِهِمْ بالنِّسبة إلى إِفْسَادِهِمْ كالعدَمِ[5].

سِرُّ استعمال ﴿وَلَٰكِن﴾:

أســـلـــوب الاســـتـــدراك يـنـاسـب رفـع الـتـوهُّـم الـذي يُـسـيـطـر عـلى أذهان المنافقين

وجيءَ هُهُنَا بحرفِ الاسْتِدْرَاكِ (لَكِنْ)، ولم يَرِدْ ذلك في قوله قبلُ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ لأنَّ المخادعَةَ لم يتقدَّمْها ما يُوهم حصولَ الشُّعور حتَّى يُحتاجَ إلى رفعِهِ، بل إنَّ المخادعةَ في ذاتِها قائمةٌ على الخفاءِ، بخلاف قوله هنا: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾؛ فإنَّهُ تقدَّمَهُ نهيُهم عَنِ الإفسادِ الظَّاهرِ لكلِّ أحدٍ، إلَّا أنَّهم أَنْكَرُوا كونَهم مُفْسِدِين، بل أَثْبَتُوا لأنفسِهم عكسَهُ وهُو

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/286.
(2) القُوجَوِي، حاشية زاده: 1/284.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/44.
(4) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/331.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/111.

الإصلاحُ، فردَّ اللّه ﷻ عَلَيْهِمْ وأثبتَ فسادَهم وإفسادَهم، وكان العلمُ بمَضْمُون ذلك جَدِيرًا بِهِم، إلَّا أنَّهم لا يَعْلَمُونَ! فناسبَ ذلك الاِسْتِدْرَاكَ؛ لوُجُود التَّوهُّم الذي يُحتاج إلى رفعِهِ[1].

حَذْفُ الْمَعْمُولِ لِدلالة الْقَرِينَةِ عَلَيْهِ أَوْ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ:

لا يَشعر المنافقون أنهم مفسدون، ولا يشعرون أنَّ وبال إفسادهم راجع إليهم

حُذف معمولُ ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾، وفي ذلك مَسْلَكَانِ[2]:

أحدهما: أن يُقدَّرَ له معمولٌ خاصٌّ، ويكون المعنى: ولكِن لا يَشْعُرُون بأنَّهم مُفْسِدُون، أَوْ لا يَشْعُرُون أَنَّ وبَالَ إفسَادِهم راجعٌ إِلَيْهِمْ، أو لا يشعرون بأَنَّ اللّه تعالى يَعْلَمُ إفسادَهم.

ثَانِيهما: أَنْ لَا يُقدَّر له مَعْمُولٌ خاصٌّ؛ رَوْمًا لإفادة العُمُوم، أي: لا يَشْعُرُونَ بِشَيْءٍ، فنُزِّلوا مَنْزِلَةَ مَنِ اخْتَلَّت حواسُّهُ وتعطَّلَتْ.

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/331، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/286.
(2) الألوسّي، روح المعاني: 1/156.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»